

مقدمة:

مهما تكن القراءات النقدية التي تقارب الإبداع الأدبي ، أو تتخذ موضوعا لها كثيرة ومتنوعة فإنها على كثرتها وتنوعها لا تكاد تخرج عن مواقف واتجاهات بعينها إزاء هذا الإبداع . وبوسع الدارس أن يستعرض القراءات الأدبية المختلفة من زاوية محددة تتمثل فيما تطرحه هذه النظرية أو تلك من أسئلة وإشكاليات حول ماهية الإبداع الأدبي ووظيفته . "إذ قد تطرح هذه النظريات أسئلتها من زاوية الكاتب أو زاوية العمل الأدبي أو زاوية القارئ، أو زاوية ما نطلق عليه عادة اسم الواقع. (١) ويبدو أن هذه الطروحات حول الإبداع ظلت منذ زمن غير قريب تدور في إطار ثالوث أساسي للنقد الأدبي هو : المؤلف/النص / القارئ .

ولقد كانت الاتجاهات النقدية- على تباين اتجاهاتها منذ أرسطو وأفلاطون-تختلف فيما بينها في درجة التركيز على أحد أضلاع المثلث(السابق) دون الضلعين الآخرين " (٢) . فأحيانا نجد دائرة المبدع أو المؤلف تنتسج بحيث لا يقف الاهتمام عند شخصيته أو سيرته بل يتجاوز ذلك إلى اعتبار الفنان مواءة لعصره.

وفي هذا الإطار وبناء على نظرية المحاكاة عند أرسطو تتم دراسة أعمال شكسبير مثلا باعتبارها تصويرا لعالم إنجلترا تحت حكم الملكة إليزابيث لمدة زادت على الأربعين عاما " (٣) . وفي أحيان أخرى كان يتم التركيز على دائرة

النص فكان المعنى هو الهم الشاغل للنقد هذا "مع الفارق الكبير بين ما كانت كلمة معنى تشير إليه والدلالات اللانهاية الآن للنص الواحد" (٤).

فإذا نظرنا إلى الضلع الثالث ألا وهو القارىء فكانت مهمته على أكثر تقدير "أن يقرأ فى النص الواحد أكثر من دلالة أو أكثر من مستوى للمعنى معتمدا على القيمة الإيحائية للغة الأدب التى لا تكفى بالتقرير العلمى المحدود" (٥). ولقد تطور النقد وخطى خطوات واسعة فحقق إنجازات مشهودة فى التصورات وكذلك فى الأدوات المعرفية، ومع ذلك فقد ظلت زوايا النظر إلى العمل الأدبى فى العصر الحديث متوزعة حول: المؤلف - النص - القارئ .

وعلى كل حال فإن فى مقدورنا أن نستلهم من المخطط البيانى لنظرية التوصيل اللغوى الذى وضعه العالم اللغوى رومان جاكوبسون. "roman jakobson" تصورا يمكننا من التمييز والتفريق بين وجهات النظر المتمثلة فى الاتجاهات والمدارس المتباينة عند قراءة العمل الأدبى بغرض دراستها.

السياق "CONTEXT"

الرسالة "MESSAGE"

المرسل (ADDRESSER) ← الاتصال ← "CONTACT" ← المستقبل (ADDRESSEE)

"COD" الشفرة

وبالنسبة إلى عنصر الاتصال فإنه يمكننا حذفه من المخطط السابق عند مناقشة الأدب "لأن هذا العنصر ليست له أهمية خاصة عند منظرى الأدب. (٦) وبالتالي فإننا يمكننا أن نتفهم مفردات المخطط السابق فى عملية الكتابة الأدبية على النحو التالى :

المرسل = الكاتب (المبدع).

المتلقي = القاريء.

السياق = الإشارة.

الرسالة = النص.

الشفرة = اللغة الوسيط المتعارف عليها بين الكاتب والقاريء.

وبناء على ذلك نستطيع رؤية المخطط السابق كما يلي :

السياق

الكاتب (المبدع) _____ النص _____ القاريء

الشفرة

إن كل نظرية من نظريات الأدب تتجه بدورها إلى التركيز على حد من الحدود السابقة: الكاتب / النص / القاريء. وبذلك يمكننا القول بأن هناك ثلاثة اتجاهات أساسية في قراءة العمل الأدبي أو النصوص الأدبية بعامة:

الاتجاه الأول : قراءة تهتم بالكاتب المؤلف ونجدها في المناهج التاريخية والنفسية والاجتماعية.

الاتجاه الثاني : قراءة تهتم بالنص / الأثر الأدبي ونجدها في المناهج النصوصية بعامة مثل البنائية والشعرية والسميولوجية والتفكيكية .

الاتجاه الثالث : قراءة تهتم بالمتلقي / القاريء ونجدها في نظريات التلقي.

والهدف من رصد هذه الاتجاهات المختلفة في نظرتها إلى الأدب يعود إلى أمرين:

الأول : الوعي بأن الأدب العربي الحديث في مجمله ولید التفاعل مع الثقافات الغربية وأن ما نقرأه اليوم والذي أخذنا نقرأه منذ بدايات هذا القرن هو نتاج تلاقح ثقافي مخصب بين إبداع الذهن العربي والثقافة الغربية كان للثقافة الغربية فيه دور المعطي .

والأمر الآخر: محاولة الكشف عن آليات هذه القراءات -علي اختلافها- من خلال ما قامت عليه من أسس فلسفية بهدف إتاحة الفرصة لمزيد من التعرف عليها ترسيخا للوعي بها ومن ناحية أخرى خلق نوع من التبصر النقدي التتويري الذي نراه ضروريا لمقاربة الأعمال الأدبية المعاصرة مقارنة علمية واعية تعتمد علي أدوات معرفية ومنهجية متطورة.